

□ أثر الترجمة والألسن في الثقافة الموريتانية (قراءة في الخطاب الشعري)

محمد بن أحمد بن المحبوب

المفتشية العامة للتعليم الثانوي والفني

قسم اللغة العربية - نواكشوط - موريتانيا

يبدو أثر الترجمة والألسن في الثقافة الموريتانية واضح المعالم بين القسمات لذلك ارتأينا أن نعرض لهذا الموضوع خلال هذه المشاركة وقد اخترنا لها العنوان التالي «أثر الترجمة والألسن على الثقافة الموريتانية» (قراءة في الخطاب الشعري).

وسنفتتح هذه المعالجة بالوقوف مع الوحدات المعجمية المؤسسة لهذا العنوان عاملين على استنطاقها عسى أن نفك البعض من أوزارها، أو نكتشف اليسر من أسرارها. ونكتفي في هذا المقام باستعراض نماذج من التداخل اللساني بين اللغة العربية الفصحى وبين اللغات التي كان لها حضور بالربوع الشنقيطية ونقتصر هنا على اللغة الولفية واللغة الفرنسية فقط. فنسعى جهدا إلى تلمس تجليات هذين اللسانين داخل نسيج النص الشعري الفصيح في هذه البلاد دون أن ننسى جهود القوم في تعريب الألفاظ العامية ذات الأصول الأعجمية.

وسنقسم هذا الموضوع إلى مقدمة ومحورين، في المقدمة نعرض للمحددات الأولية وبطاقة تعريف الموضوع، وفي المحور الأول نعرض لتأثير الألسن الأجنبية في الشعر الفصيح. وفي المحور الثاني نستعرض جانباً من تعريب القوم للأماكن. فماذا إذن عن حضور الألسن في البناء المؤسس لثقافة القوم؟ وكيف تعامل الشاعر الموريتاني مع الأنساق الثقافية في بيئته هل ذاب في خضمها وامحى أم أنه واجهها بحزم دون مجاملة ولا استحياء

I - المحددات الأولية

وفي إطار هذه المحددات نحاول الدخول إلى حرم الموضوع بادئين باستنطاق العنوان «أثر الترجمة والألسن على الثقافة الموريتانية» فواضح أن هذا العنوان يتألف من ثلاثة تركيبات نحوية أولها إضافي «أثر الترجمة» وثانيها عطفي «والألسن» وثالثها نعتي «الثقافة الموريتانية» وقد لحمت بينهما أداة الجر «على» التي تفيد الظرفية في الأصل ولكنها هذا بمعنى «على» فالتركيب الإضافي في الأول يتألف من كلمتين أولاهما «الأثر» وهو لغة العلامة وبقية الشيء ونقصد به هذا جملة البصمات التي خلفتها الترجمة والألسن في حقل الثقافة بهذه الربع الموريتانية وتأتي كلمة «الترجمة» لتغطي الجانب المتعلق بالتواصل اللساني بين اللغة العربية في بلاد شنقيط⁽¹⁾ وبين اللغات الأخرى المتداولة في هذا المجال الجغرافي فالترجمة لغة مصدر ترجم الكلام إذا نقله من لغة إلى أخرى والقائم بهذه العملية يسمى ترجمانا. وقد ورد في لسان العرب «ترجم الكلام نقله من لغة

إلى أخرى، والترجمان هو القائم بالعملية وجمعه تراجم»(2) وينقل هذا المعنى نفسه صاحب المعجم الوسيط الذي ذهب إلى أن الترجمة هي نقل اللسان من أمة إلى أخرى(3). فالترجمة هي القناة الأولى للتواصل بين الأمم والشعوب فعبورها يتم تبادل المعلومات وتنقل التجارب من شعب إلى آخر، وقد اعتمدت الثقافة الموريتانية هذا المبدأ فترجمت عن غيرها من الثقافات، وخاصة الثقافة الفرنسية التي كان لها بفعل الاحتلال حضور في الصعيد الموريتاني وفي المقابل ترجمت نصوص موريتانية إلى الفرنسية والإنكليزية نذكر منها مثلاً رحلة المصطفى الطالب أحمد بن طوير الجنة الواداني(4) المعروفة برحلة «المنى والمئة» وكذلك منظومة أوفي بن أشفغ مصر(5) في الطب المعرفة بـ«العمدة».

أما التركيب العطفي «والألسن» فيتألف من أداة العطف «و» التي جاءت لتقيد النسق والاشتراك بين المتعاطفين ومن كلمة «الألسن» التي هي جمع لسان وهو لغة «جسم مستطيل متحرك يكون في الفم يصلح للتذوق والبلع والنطق مذكر ويؤنث وجمعه ألسنة وألسن ولسن، ويطلق على اللغة وفي التنزيل «إنما يسرناه بلسانك» أي بلغتك(6) ومقصودنا من الألسن هنا اللغات وننتهي إلى التركيب النعتي «الثقافة الموريتانية» فالثقافة مصدر تثقف ثقفا وثقافة إذا صار حاذقا فطنا وتطلق في الاصطلاح على المعارف والعلوم والفنون التي يطلب الحذف فيها(7) وقد جاءت الصفة «الموريتانية» لتحديد مجال البحث وتحصره في هذه الرقعة الجغرافية المعروفة عالميا بموريتانيا.

II - المحور الأول: آثار الأسن في الثقافة الموريتانية

وفي هذا المحور سنقتصر على إبراز نماذج ولو يسيره من التلاقي والتحاور بين النص الشعري الفصيح في موريتانيا وبين لسانين كان لهما بعض الحضور هناك مع اختلاف في ذلك وتفاوت. ونقصد بهذين اللسانين اللغة الولفية -وهي اللهجة المنطوقة في الجمهورية السينيغالية وفي أجزاء يسيرة من موريتانيا- واللغة الفرنسية، وقد ضربنا صفحا عن اللهجة الحسانية لكثرة التقاطع بينها وبين الفصحى ولأنها في نظرنا عربية بالقوة لذلك أثرتنا في هذا المقام الحديث عن التناص بين اللغات المتنافرة التي لا رابطة من الصوت أو النحو تربط بين بنياتها المختلفة. فاخترنا إذن أن نتناول ظاهرة التحاور بين النص الشعري الفصيح وبين هذين اللسانين اللذين ذكرنا. وسنعمل على تتبع المفردات الأجنبية التي قد تطفو على أديم بعض المقطوعات الشعرية مما يدل دلالة واضحة على تمكن الشعراء من هذه الأسن وتأثرهم بها وحضورها في أذهانهم وأوساطهم فقد استطاعوا بخبرتهم أن يقدموا لنا سبيكة عجيبة الصنع مختلفا ألوانها تجمع الأعجمي إلى العربي وتضم الدخيل إلى الأصل. ولنعرض الآن إلى تجليات هذه الأسن في أنسجة النصوص الشعرية الفصيحة.

أ - حضور اللهجة الولفية:

كان لهذه اللهجة بحكم الألفة والجوار والتلاقي اليومي بين الشعب الموريتاني وبين الشعب السينيغالي حضور كبير في الأوساط الموريتانية وخاصة المنطقة

المحاذية للنهر، فقد كان من القوم تجار يقضون معظم أيام السنة بين السينغاليين يبيعون ويشترون ويعملون الناس الكتاب والحكمة. كما كان السينغاليون يعبرون النهر إلى البلاد الموريتانية بحثاً عن العلم والعمل زد على ذلك دور أشياخ التصوف الذين كانت لهم حضرات متميزة في مختلف أنحاء الربوع السينغالية وبذلك وقع نوع من التآلف والانسجام والتلاقي بين اللغتين العربية والولفية وبالتالي برزت بعض الألفاظ الولفية واضحة في بعض القصائد الموريتانية، كما اشتهر بعض الشعراء باعتماد هذه الظاهرة الأسلوبية والصدور عنها في نصوصهم، فكثيراً ما كانوا يطعمون شعرهم ببعض الألفاظ الولفية، خاصة إذا كان المخاطب ممن يستهلك تلك اللهجة أو يستعملها في خطابه اليومي.

ولعل باباه بن ابته المجلسي(8) أبرز الشعراء الذين اعتمدوا هذا الأسلوب وركنوا إليه فالمتصفح لديوانه يقرأ فيه مقطوعات شعرية غير يسيرة تعرض لهذا التناص وتجسده. ومن أوضح الأمثلة على ذلك نص امتدح به الشيخ الفاضل بن الشيخ أحمد بمبا(9) وقد ضمنه بعض الألفاظ الولفية، وذلك اقتراباً من ممدوحه. فقد أورد في نصه عبارات تدل على تمكنه من ناصية اللغة الولفية إذ يستطيع أن يركب بها جملاً ويطوعها لصالح النص الشعري الفصيح ذي النغمات الموسيقية المتميزة فقد أكد فضل ممدوحه وعلوه إلى أقرانه بل انتهى به الأمر إلى التصريح بكل ثقة وثبات أنه يعجب كثيراً من كل شاعر يروم قرص الشعر في غير هذا الممدوح، وهكذا ضمن الشاعر نصه ثلاث كلمات من اللهجة الولفية. فحتم البيت

الثاني بكلمة «سخ» الolfية التي تعني أبدأ، وختم البيت الثالث بالتعبير الاستفهامي «لتخ» وهو بمعنى لماذا، كما ختم البيت الرابع بالتعبير «مالك وخ» وهي جملة كاملة بمعنى: أنا الذي قلت لك ذلك يقول الشاعر(10).

في شيخنا الفاضل الفضل التلاد رسخ حتى لفضل الشيوخ العارفين نسخ
قد ضيع الشعر ذو شعر يريد به مدح امرئ غيره إذ لا يماثل «سخ»
لو أن مادح غير الشيخ شاورني لقلت لا تمدحن شيخا سواه «لتخ»
فالشيخ فاضل يا من عنه تسألني لا شيخ يشبهه في العصر «مالك وخ»
وفي قطعة شعرية أخرى ينوه هذا المجلسي بممدوحه مرغما أنوف حساده
مذكرا القارئ أن الله يخص بفضله من يشاء فالإنسان مهما حاول أن ينقص
الناس حقهم فإنه لن ينال غير نصيبه وما قسم الله له.

وقد أورد في قطعته تعبيرين ولفيين أولها ورد في خاتمة البيت الأول وهو
«سبص» ومعناها رزقك، ونصيبك، وثانيهما ورد في أعقاب البيت الثاني وهو
«دكمص» ومعناه لن تذوقه يقول(11):

يا حاسدا فاضلا رب العباد يخص من شاء بالفضل لا تطمع بغير «سبص»
ما خص فاضلنا رب العباد به لو طرت من حسد نحو السما «دكمص»

وإذا كان ابن ابته عول في نصوصه التي وقع فيها التداخل بين اللغة
الفصحى وبين الolfية على غرض المدح فإن الشاعر محمد بن ابن الشقروي(12)
ركز في خطابه الشعري على غرض الغزل ناقلنا إلينا تجربته العاطفية مع زنجية

لقيها بالشاعر مرة فجاذبها أطراف الحديث، وحاورها محاورة غرامية انتهت بقيامها لتوديعه إلى جانب منزلها وقد استعمل الشاعر في نصه كلمة «كر» الolfية التي بمعنى الدار، أو البيت، وأضافها إلى ضمير المؤنث الغائب فقال «كرها» أي دارها، ويبدو أنه صاغ نصه الغزلي في أسلوب أخذ ينزع إلى الوضوح ويركن إلى الجناس فقد جانس بين كلمة «سرها» التي هي بمعنى السر المعروف وبين كلمة «سرها» الolfية التي تعني إزارها، كما وردت في الأبيات لكلمة «ميسور» التي يقصد بها عندهم الخمار الذي يجعل على الرأس خاصة يقول(13):

وزنجية جاذبت جانب «سرها»	و«ميسورها» مستفهما كنه سرها(14)
فساءلتها عن دارها فتبسمت	فرمت لفهمي سرها كشف «سرها»
فقال لداري أحسن الدور كلها	وتحسن الاستقرار في مستقرها
فظلت بتلك الدار ألهو ومقلتي	تردد في ليلها وأغرها
إلى أن دنا إتيان بعض عيالها	ومهما أتى تخشى بواذر ضرها
فودعتها والقلب يغلي صباية	وقامت لتوديعي إلى جنب «كرها»

وغير بعيد من غرض الغزل ينتهج الشاعر الأديب المختار بن حامد(15) أسلوبا شعريا يميل إلى الطرافة والتنكيت مؤكدا خلاله حاجة الشيوخ إلى الأريحية وأجواء التلطيف، منتهايا إلى أنهم إذا لم يعتمدوا ذلك في حياتهم فإنه سيفقدون الخير، بل أن الناس ستهرب من محاورهم وتتجنب لقاءهم فهم بحاجة

إلى أن يفيدوا طبعهم المكود بالهرم راحة تكون بالنسبة إليهم إدام غذاء أو ملح طعام.

وقد استعمل الشاعر في قطعته كلمة «خرم» اللفية وهي بمعنى الملح يقول(16):

لا خير في الشيخ مثلي الأشيب الهرم ما لم تكن فيه حبة من الخرم
وإن تكن حبة فيه ولو صغرت فاستثنه إنه خير من العدم

وأكثر من ذلك يورد المختار في مقامته الأندرية(17) ألفاظا ولفية ممزوجة بألفاظ فرنسية ميينا اكتظاظ محطة القطار وكثرة أنواع البشر بساحتها مؤكدا أنها يومئذ تغض بأنواع الخلائق، يقول «خرجت إلى قنطرة تين جكين»(18) اعتبر بمن يمر عليها من «كور وجيكن»(19) فوقفت بجانبها الغربي أرصد مرور العجمي والعربي وهذا الرال يمر مر الرال(20) والوتات(21) تذهب وتات، فلما جاء وقت ميد(22) ذهب ميد ميد(23) (..) فاجتمع عند الكار من أهل دكار وناركنار(24) وغيرهم من المخلوقين فتبارك الله أحسن الخالفين ما سد الأفقين وملا ما بين الخانقين»(25).

ونختم هذه النماذج الشعرية المحتضنة لبعض الألفاظ اللهجة اللفية بقطعه طريقة للشاعر محمد الحسن بن أبو المجلسي(26) نظمها في مداعبة أجيرة اسمها «توتي» كان قد اكرى من عندها طعاما على طريق المشاهدة تأتيه به يوميا، ويبدو من الأبيات أن هذا الطعام كان قليلا، فلعلها انتقصت من قدره، فأراد الشاعر أن يعبر عن ذلك بلطف فاستخدم كلمة «توت» اللفية وهي بمعنى

القليل ملتصقا في الوقت نفسه الدعاء من الله تعالى أن لا يجعل رزقه على يد هذه الأجيرة التي تسمى «توتي» وقد نظر في أبياته إلى بعض الآيات القرآنية فجاءت بذلك بديعة النسيج محكمة القريض طريفة المعنى يقول(27).

يا مالك الملك يا من إن تشأ توتي ملكا كثيرا وتوتي إن تشأ «توت»(28)
وتنزع الملك ممن شئت أو نة لا تجعل أبدا رزقي على «توتي»(29)

ب - حضور اللغة الفرنسية:

كان لهذه اللغة حضور غير يسير بالربوع الموريتانية، وذلك بحكم سياسة الاحتلال التثقيفية التي فرضت خلالها اللغة الفرنسية على الشعب فرضا فتعلم هذه اللوثة الأعجمية رغما عن إرادته، فمن شعراء القوم من ثقف ثقافة أجنبية جعلت مفردات الفرنسية ومصطلحاتها تسكن قلبه وتلامس شعوره فلم يستطع عند لحظات الإبداع الأدبي منها فكاكا، فأصبحت هذه المفردات تنساب على لسانه وتطفوا على نصوصه زد على ذلك أن الكثير من مفردات هذه اللغة تسرب إلى اللهجة الحسانية فاشتق لنفسه مكانا في لغة التخاطب اليومي وبفعل هذه الأمور مفردة ومجتمعة تأثر بعض شعراء القوم بهذا اللسان الأجنبي فبرزت بعض مفرداته على أديم خطاباتهم الشعرية ومنتوجهم الأدبي.

وسنقف يسيرا مع بعض الشعراء الذين جسدوا هذا التوجه في نصوصهم الأدبية، ففي الفترة المعاصرة يعد الشاعر الإرادي والأديب الاجتماعي محمد فال

بن عبد اللطيف(30) من أبرز الرواد الذين دشّنوا هذه النظرة فالمتصفح لديوانه يطلع على نماذج من هذا التعايش اللغوي القائم بين اللغة العربية، وبين اللغة الفرنسية داخل نسيج النص الشعري الفصيح ففي حديث هذا الشاعر عن ظاهرة التفسخ الاجتماعي والانحلال الأخلاقي تناول تهاون الفتاة بسترها الشرعي حيث عملت جهداً على نقصه شيئاً فشيئاً إلى أن بلغت درجة قريبة من العري، وللتعبير عن هذا النقص المذموم استعمل الرجل الكلمة الفرنسية «ميني جيب» (Mini jupe) والتي تعني الإزار القصير الذي لا يتجاوز الركبتين في الغالب إن بلغهما يقول(31):

لك الحمد «مين جيب» أصبح أخضرا وعما قريب سوف يصبح أحمر
ولا زالت الحسناء مي حريصة على نقصه شيرا فباعا فأكثر
وها هو يعلو في القوائم صاعدا «دوين الصفا اللائي يلين المشقرا»(32)
وفي قطعة شعرية أخرى يسترجع الشاعر ذكريات الدراسة متحدثاً عن
منحته، متذكراً ما أصابه من الفرح إثر استلامها يقول في مطلع هذه
القطعة(33):

نلت «برسي» وعندما نلت «برسي» ذقت النفس النفس عندما ألف جرس
ف«بريسي» مركبة من كلمة (bourse) الفرنسية التي بمعنى المنحة، ومن ياء
المكلم. وتبقى هذه الظاهرة اللغوية حاضرة في منتج الرجل فقد نظم قطعة
أخرى تعرض خلالها لآثار البطالة مشيراً إلى ما بالمجتمع من أثره وتفاوت،

داعيا إلى إعانة الضعفاء والشفاعة لهم عند المسؤولين عسى أن يمدوا لهم يد المساعدة فلا يضرسوا بالأنياب ولا يوطأوا بالمناسم، وقد استخدم الشاعر في نصه بعض الكلمات ذات الأصل الفرنسي الذي حرّف يسيرا في اللغة الحسانية مثل كلمة «باس» التي هي (pousser) بالفرنسية وما اشتق منها «مباس» وكلها تعني الشفاعة للمرء والسعي معه في أموره الخاصة يقول(34):

قال هذا الذي يقول الناس إن من لا «يباس» سوف يداس
فتحرك كي لا تداس ولا تـ أس فعار على «تكوس» اليأس(35)
وإذا سخر الإله أناسا لـ «مباس» فإنه سـ«يباس»(36)
ومن الناس من إذا «باس» لا با س وبعض به إذا «باس» باس(37)

أما في غرض الغزل فإننا نقرأ أبياتا في ديوان محمد بن ابن أورد فيها كلمة بنان (banane) أي الموز فقد نقل إلينا محاوراة غرامية دارت بينه وبين مليحة كانت تحمل في يدها قطعة من الموز. وصاغ الرجل أبياته في أسلوب حوارى طريف يلوح بالفرنسية ويركن إلى الجناس يقول(38):

وأحوى في الملاحاة ذا افتتان عنيت به قصد وما عناني
ولس قليل فاكهة لديه فقلت أترك فاكهة الجنان
فقال نعم «بنان» فقلت إني لمشتاق أحـن إلى «بنان»
فمد بنانه وبه بنان فأمسكت البنان مع البنان

وقد امتدت ألفاظ فرنسية إلى لغة النوازل والفتاوى فوردت عرضاً على السنة بعض الفقهاء الشعراء من ذلك مثلاً أبيات للعالم محمد محمود بن فتى (39) أوضح خلالها موقفه الشخصي من استخدام الساعة لتحديد وقت الصلاة، أو اقتناء المذياع لإثبات رؤية هلال شهر الفطر أو الصيام، وقد حرف لفظي «رجو» (Radio) و«منظر» (Montre) تحريفاً صوتياً طفيفاً يقول (40):

ولست لـ «رجو» ما حييت مقلداً ولست مصل ما حييت بـ«منظر»
كفاني وقت جاء جبريل نازلاً به ضحوة الإسرا على خير منذر
وإني من دين تجدد بعدما تقضت قرون الخير منتبذ برى

وينحو هذا النحو نفسه باباه بن ابته المتقدم في أرجوزته التي يتوسل في فاتحتها إلى الله أن يخفف عن المسلمين من خطر الأزمات ويريهم أضرار الصفقات الخاسرة في الأسواق السوداء وقد زواج الرجل في نصه بين المصطلحات الفرنسية وبين الألفاظ الولفية فاستخدم ثلاث كلمات من الفرنسية هي التركيب النعتي (Marché noire) ومعناها السوق السوداء وكلمة (Liste) التي بمعنى اللائحة والمقصود بها في النص قائمة الأسعار، وكلمة (Garder) التي صرفها الشاعر في الأمر بالعربية ومعناها «حرس» أما اللغة الولفية فلم يستعمل منها في هذا النص سوى كلمة واحدة هي «درى» بمعنى شيء يقول (41):

يا رب بالمختار ذي الأنوار ق المسلمين شر «مرش أنوار» (42)
واحفضهم في حال بيع «لست» من كل جاسوس عظيم الاست

قالت له النصارى والصابونا «كرد» لنا السكر والصابون(43)

كم لحظة بكل دار دارا يريد أن ينم أو يدارى

ورفقه بالمسالمين ندرا إذ ليس عنده من الدين «درا»

وفي قطعة وعظية طريفة أخرى يدعو الإنسان إلى أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وإلى أن يعتبر بدقات الدقائق والثواني التي كثيرا ما تمر به دون أن ينتبه إليها أو يضعها في الحسبان، وقد استخدم الشاعر في أبياته فعل «وست» (Visiter) الذي هو بمعنى فتش وكلمة (Minute) بمعنى الدقيقة، وقد جمعها جمع المؤنث السالم في اللغة العربية يقول(44):

«وست» الفؤاد إذا ما لحظة تأتي ونقه قبل إتيان الوسياتاتي

ولا تضيع «منيتا» في سوى ملك يبدى العجائب في سير «المنيات»

وغير بعيد من هذا التوجه تندرج قصيدة كراي بن أحمد يوره(45) التي استفتى خلالها علماء عصره عن حكم رؤية شاشات التلفزة مبديا رأيه في الموضوع أولا حيث حذر من النظر إليها مؤكدا أنها شجعت على رؤية الأجنيات فاغتصبت أوقات القربات، وحرضت على ارتكاب الحرمات وبذلك فإنها تعمي البصر والبصيرة، وقد استخدم الشاعر الفقيه في نصه كلمات فرنسية معبرة مثل تلفزة (Télévision)، (Madame)، (Cinéma) يقول(46):

ما حكم رؤيتنا شاشات تلفزة وصاحب العلم ملعون إذا كتما

فهي التي اغتصبت أوقات قربتنا فكم أفيتت على الرائي وما علما
 تريك حسناء أو شوهاء عارية إما من الشعب أو سوداء أو «مضما» (47)
 كأنها «سينما» في البيت جاهزة فما يزال عليها الشعب مزدحما
 تخشى بصائرنا من ضوئها عمها كما يخاف على الأبصار منه عما
 وتتنزل في هذا السياق أبيات الشاعر أبو بكر بن محمد الفاضلي (48) التي
 انتقد ضمنها بعض سلوكيات القوم التجارية منتهيا إلى أن أغلب أهل زمانه
 تجار مغبونون حيث يبيعون أعراضهم بعرض من الدنيا، وقد استعمل في أبياته
 كلمة (Dioula) الفرنسية ليجمعها جمع المؤنث السالم بالعربية حيث وردت كلمة
 «جالات» بيته الثاني يقول (49):

أرض للمرء كل ما هو راض وعليه فلا تكن ذا اعتراض
 كل أنباء ذا الزمان «جالات» يشترون العروض بالأعراض

ونختم حضور اللغة الفرنسية في النص الشعري الفصيح عند الموريتانيين
 بمقطوعات للمختار بن حامد، في أولها يجمع بين التغزل والمدح، ففيها تحدث
 عن حسن جلسة صاحبة مكتب «بروها» مؤكدا أنها غاية في روعة المنظر، لينتهي
 إلى كرمها مشيرا إلى أنها كانت توزع على الناس الأموال عبر «بوها» أي
 وصول تدفعها لهم وهي التي تعرف بكلمة (bons) بالفرنسية يقول (50):

إذا جلست فلانة في «بروها» (51) ورمتم منظرا حسنا فروها
 وإن تحتج إلى «بوه» فسلها لعل فلانة تعطيك «بوها» (52)

وفي قطعة قصيرة أخرى تتألف من بيتين يداعب الرجل صديقا له في أسلوب من الطرافة والتنكيت بديع يميل إلى تعريب الألفاظ الفرنسية وترجمتها إلى اللغة العربية فقد عبر عن السيارة المعروفة (Deux chevaux) بقوله «فرسان» مؤكدا أن صديقه يملك سيارة من هذا النوع، وقد استحضر مع ذلك شطرا من شعر امرئ القيس يقول(53):

فرسان عند زميلنا البناني أو عندنا بعبارة الديماني

تقديمها خيل لوالد زينب فداهما خيل على سفوان(54)

وفي قطعة ثالثة يحاول أن يحكم بين زوج امرأة تسمى «يس» وبين خدنها بعدما تنازعا إليه وقد أصدر حكمه لصالح الزوج إذ أمره بملازمة زوجته.

وقد عبر عن ذلك بفعل الوطاء المخفف فقال «طاها» وفي الوقت نفسه أمر الخدن بأن يبتعد وينجو بنفسه مستعملا الكلمة الفرنسية الدالة على الرفض والامتناع (Non Non) أي لا لا يقول(55):

تنازع خدن يس الخؤون لدي وزوجها وبه جنون

فقلت لزوجها يس طاها وقلت لخدنها يس «نونو»(56)

ومن الذين اعتمدوا في تعابيرهم النثرية ألفاظا فرنسية المصطفى الطالب أحمد بن طوير الجنة في رحلته المعروفة برحلة المنى والمنة فقد تحدث عن نظام الحجز الصحي الذي كانت تقوم به السلطات الغربية خوفا من انتشار الأمراض الفتاكة والعدوى. ففي حديثه عن هذا النظام استعمل أحد الألفاظ الفرنسية بعد

أن حرفه يسيرا، فقد كان الفرنسيون يطلقون على هذه العملية اسم (Quarantaine) التي تعني الأربعينية وهي تشير إلى أنهم كانوا يلزمون المسافرين إقامة أربعين يوما في حجز صحي خوفا من العدوى وقد عبر الرجل عن هذا المصطلح باسم «الكرتينية» فلعله نقلها كما سمعها من الناس (57).

III - المحور الثاني: محاربة الألفاظ الأعجمية وتعريبها

يمكن القول في هذا المحور أن الألفاظ الأعجمية قد تسلمت إلى اللغة الفصحى في بعض المناطق من البلاد وذلك باعتبار أن هذه اللغة في مرحلة سحيقة كانت بالنسبة للبعض لغة ثالثة بعد اللسان الحساني الأم واللغة العربية الفصحى، وقد صار هذا اللسان الآن منقرضا بالربوع الموريتانية فلم يبق منه إلا بعض أسماء الأعلام والأماكن القليلة، والتي تأخذ طريقها إما إلى الاندثار أو إلى التعرب بانتظام. وسنعرض لهذه الألفاظ في مستويين أولهما نذكر فيه نماذج شعرية يسيرة تحتضن بيت تضاعيفها بعض الكلمات القليلة وثانيهما نتناول فيه جهود القوم الحثيثة في تعريب ألفاظ هذا اللسان وكلماته:

أ - النماذج الشعرية

لقد عثرنا بعد جهد كبير على بعض المقطوعات الشعرية التي تتضمن بعض ألفاظ هذا اللسان الأعجمي من ذلك مثلا أبيات لمحمد بن أحمد بن

العاقل الأبهمي(58) امتدح خلالها سعي عشيرة أخواله اليدايلين مسترجعا ذكرياته الطيبة بمنزلهم الميمونة منتها إلى أنهم غرة الدهر وبيت القصيد، بل هم مدفع النجس والشؤم ومجلب السعد واليمن فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، وقد استودع الرجل الشطر الأخير من أبياته كلمات أعجمية هي قوله «نيس زان، ونيس غير مرزون» ومعناها بالفصحى حبة مطحونة وأخرى غير مطحونة وقد أراد بها الشاعر هنا نوعا من التواضع العلمي المتميز يقول(59):

أودى اصطباري محض الجهل والمين	لما نظرت إلى «أم الرويصين»
فتلك «تنيلف» لا تمر بها أسفا	وابك المنازل من «اتويد ملين»
ذاك «المنار» وقد لاحت به دمن	مثل اليواقيت من أحياء السعيدين
قوم سعيديون لا يشقى جليسهم	مقالة رويت عن ناصر الدين(60)
هم الجاحج في عز وفي كرم	هم البزاة هم روض الرياحين
نفسى الفداء لأقوام إذا نكروا	كانت منازلهم فوق السماكين
بهم نفاخر أهل الأرض قاطبة	وهم لعمرى شـم العرانيين
هذا المديح بأبيات مفنجرة	«فئيس راز ونيس غير مرزون»(61)

ونطلع أبياتا غزلية للشاعر أمحمد بن أحمد يوره(62) يقرأ ضمنها السلام على محبوبته ذاكرها لها ببعض الأمارات الخاصة المتعارفة عندهما فقد اتخذ لتجربته الشعرية إطارا لسانيا خاصا يخرج على نظام اللغة المتداولة عند الناس ويعلو على أفهام العامة فجمع في نصه بين اللسان العربي المبين وبين اللسان

الأعجمي، وهكذا استودع أبياته عبارات أعجمية مثل «امتاش ذا مدرر» التي تعني بالعربية هو المقصود عندي.

وكذلك كلمة «أفجر» التي هي اسم علم مكان وتعني بدأ الشيء وانطلاقته لأول مرة، كما ختم الأبيات بعبارات من قبيل «أجمر تكتد» التي بمعنى إن كانت تتذكر وكذلك قوله «أنور تشر» «يمجشر» ومعناه جملة أنها ينبغي أن لا تخط بين أمور لا ينبغي الخلط بينها ولا يحسن الربط بينها يقول(63):

بلغ سلامي ولا يسمعك من بشر إلا التي حبها «امتاش ذا مدرر»
عليها بالمار ما قد كنت أكتبه «إش الغبار» لها ضحى «بأفجر»
«أجمر تكتد»(64) ما في الكتب من حكم «إنور تشر» أبدا ما ليس «يمجشر»(65)

ب - تعريب بعض الألفاظ الأعجمية:

لقد سعى شعراء القوم ومثقفوهم إلى تعريب الألفاظ الأعجمية مركزين بشكل خاص على أسماء الأماكن والمواضيع فعربت بفعل هذا المجهود جل الألفاظ الأعجمية، ولم يبق إلا بعض المسميات الجغرافية والألقاب الشخصية التي لا يحوج إلى تعريبها دين ولا اعتقاد ولا يهدف إلى معرفتها تفاهم ولا حوار فهي من الرواسب الثقافية في المجتمع، ومن أبرز الجهود التعريبية التي قام بها هؤلاء الشعراء تغطيتهم شبه الكاملة أسماء الآبار والأوطان وهكذا نجد الشاعر محمد بن باكر بن احباب الفاضلي يعرب لفظه «التاكلالت» فقد نظم بيتين

أوضح خلالها ما كان ينعم به ليلة في ربوع هذه البئر العريضة عليه، وقد عربها بـ«البترء» يقول(66):

يا رب ليل لدى البترء مغبوطا شربت كأسا من الراح مخلوطا
وبت أذري دموع العين معتسفا أرضا من الشوق والأحزان لم توطا
ونقرأ بيتين كذلك للشاعر الفاضلي المعروف بـ«يكوى» يتغزل خلالها، وقد عمل فيهما على تعريب اسم البئر المعروف بـ«تينشيكل» التي تعني بالعربية ذات اليم فنراه يقول(67):

فما درة حمراء تعرض في رق ولا الذهب الإبريز ينشر من حق
بأحسن من إحنات بالأمس منظرا على جفر ذات اليم مغبرة تسقى
ونصل إلى الشاعر محمد بن أحمد يوره الذي يعتبر رائد هذا الموضوع وابن جدته فقد ألف في تعريب أسماء الآبار مؤلفا خاصا سماه «إخبار الأخبار بأخبار الآبار» وقد سعى خلاله إلى تعريب كثير من الأسماء الأعجمية، وأكثر من ذلك عمد في منتوجه الشعري إلى تعريب المواضيع الأماكن المشهورة في منطقته فنراه يعرب «انتاذس» بـ ذي البعوض، كما يعرب «إنيزج» بـ ذي الجديدة و«انتبذو» بـ ذي الأرق يقول(68):

اجعل مهاك فوق البازل اليقق وامش النهار إلى غيبوبة الغسق
بتنا وباتت بروق المزن لامعة ونحن دون الغضى من ملتقى الطرق

ما بين مضطرب في شجوه طرب وبين منحرق — من شوقه أرق
 فاقصد لمن تبتغي ريع الحديد إلى «ماء البعوض»

وقل مقالة دب يوم مسغبة «هذا من الماء لا يخلو من المرق»
 وفي نص آخر يعرب الموضع المعروف بـ«إنتيزيت» بـ ذي الشفا باكيا تلك
 الربوع التي مرت عليه بساحتها ذكريات حلوة وأيام عذاب يقول(69):

أطعت العواذل خوف الجفا وخوف الحشيشة أن تنتفا
 أخفيت دمعي على كثره وليس المقام مقام الخفا
 وصنت الدموع لدى أربع بواد الأراك وواد السفا

كما نراه يعرب أرويكن» بـ الهويدج يقول(70):

أيا نوبتي عند الهويدج والتي بربع بني دامن في الصيف والت
 فكلتا كما لم يبق من رسم دارها سوى ملة منها العواصف ملت
 فكلتا كما لما عرقت رسمومها تحرك من عرفانها حرف علة

وفي قطعة شعرية أخرى يعرب «تنضبج» بذات الطبل يقول(71):

مغان بذات الطبل لا غبها الوبل ولاغب أياما مضين بها قبل
 عمزت بذات الطبل عيني عن البكا فجادت بأضعاف كما يغمز الطبل

والمتصفح لديوان الشاعر المجلسي يوقمين(72) يلقى فيه تعريبا لبعض
 الأماكن فقد عرب البئر المعروفة بـ«إنتماظ» بـ ذي نوي مائة وذلك عبر أبيات له

يشكو فيها بعد الغربة ويحن إلى الوطن مستأنسا بهديل حمامة ذكرته الأهل والأوطان يقول(73):

أصخ لقبرة نأت عن الوطن كما نأيت وتبكي ساكن الدمن
مسودة الطوق والمنقار جؤجؤها بذوي نوي مائة تشدو على فنن
ونجد الشيخ محمدو بن حنبل الحسن(74) يغرب «أتويدرم» بـ«الينيبيع»
يقول(75):

لا يظن الظنون أن مقامي بالينيبيع لاكتساب العلوم
بل لغربية تهب سحيرا بشذاها فأشتفي بالشميم
ونختم هذه الجهود التعريبية بالإشارة إلى أن المختار بن جنكي ألف منظومة
حدد فيها أماكن قبور الأولياء والصالحين في منطقته المعروفة بإكيد، وقد عمل في
هذه المنظومة على تعريب كثير من الأسماء الأعجمية فعرب «إنتوفكت» بـ ذات
الشمس وانتوظفين بذات النمل، وتنيشكل بـ ذات اليم إلى غير ذلك.
وصفوة القول إن الترجمة والألسن كان لها كبير الأثر على الثقافة الموريتانية
فقد استفاد القوم من تجارب الأمم الأخرى ونقلوها إلى لغتهم الفصحى كما
ترجمت بعض النصوص الموريتانية إلى اللغات العالمية أعني الفرنسية والإنكليزية
وقد ذكرنا نموذجا من ذلك في المقدمة. أما على مستوى تعريب الألفاظ الأعجمية
فقد أفادوا وأجادوا ويكفي برهاننا على ذلك أن تطالع الجزء الجغرافي من
موسوعة المختار بن حامد، فقد استودعه الكثير من الألفاظ المعربة التي تكشف
جهود القوم وسعيهم الحثيث في هذا الجانب.

الإحالات

- (1) - كلمة شنقيط علم على مدينة في الشمال الموريتاني، وكانت قديما تطلق ويراد الوطن الموريتاني كله وهذا هو المقصود هنا.
- (2) - القاموس، المحيط مادة: ترجم ص 976.
- (3) - إبراهيم أنيس وجماعته: المعجم الوسيط 83/1.
- (4) - هو المصطفى الطلب أحمد بن طور الحبة الواداني (1145هـ - 1265هـ) عالم رحالة ومتصوف شاذلي له مؤلفات من أبرزها رحلته المعروفة برحلة المنى والمنة.
- (5) - هو أوفي بن اشفع مصر الألفي (1300هـ) طبيب وشاعر مشهور له مؤلفات منها كتابه في الطب المعروف بـ «العمدة» بالإضافة إلى ديوان شعري.
- (6) - إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، مرجع سابق، 834/2.
- (7) - المرجع السابق 85/1.
- (8) - هو باباه بن ابته المجلسي (ت 1382هـ) رحالة وشاعر له ديوان تكثر فيه ظاهرة تضمين ألفاظ اللغات الأجنبية خاصة الفرنسية والولفية.
- (9) - هذا شيخ سينغالي خلف والده أحمد بمبا المتصوف على طريقة القادرية وقد كان صديقا لهذا الشاعر.
- (10) - مخطوط بحوزتنا.
- (11) - المخطوط السابق.
- (12) - هو الشاعر المتميز محمد بن أبن كان يجمع في نظمه بين الشعبي والفصيح عرف بسرعة بديهته وقوة ذكائه له ديوان شعري محقق ت (1363هـ).
- (13) - مخطوط بحوزتنا.
- (14) - في هذه البيت كلمات ولفية هي ميسورها بمعنى: الخمار الذي يوضع على الرأس خاصة، وسرها التي بمعنى الإزار.
- (15) - هو المختار ابن حامد (1315هـ = 1414هـ) عالم أديب ومؤرخ كاتب وشاعر نظامه له عدة مؤلفات أهمها موسوعة عن الحياة الموريتانية والتاريخ الثقافي في البلد (20 مجلدا) له ديوان شعري ضخم.
- (16) - مخطوط بحوزتنا.

- (17) - المقامة الأندرية نسبة إلى مدينة ندر بالسنيغال وهي المعروفة بسان لوي (Saint Luis).
- (18) - قططرة تين جكين: قططرة معروفة هناك في هذه المدينة السينيغالية.
- (19) - كور في الولفية بمعنى الذكر وجكين بمعنى الأنثى أي الرجال والنساء.
- (20) - الرال «الأولى» كلمة فرنسية بمعنى السباق (rally) والرال الثانية لعله في العربية ابن النعام وهو معروف بالسرعة.
- (21) - الوتات: جمع وته في الحسانية وهي في الأصل كلمة محرفة عن الفرنسية يقصدون السيارة (auto).
- (22) - وقت ميد: بمعنى منتصف النهار بالفرنسية (midi).
- (23) - ميد ميد: يعني بالفصحى أنه متعب وفي حالة إعياء.
- (24) - ناركنا: كلمة ولفية يطلقونها على سكان موريتانيا من البيض خاصة.
- (25) - مخطوط بحوزتنا.
- (26) - هو محمد الحسن بن أبو المجلسي (ت 1412 هـ) شاعر أديب مشارك في جميع الفنون له بعض المقطوعات الشعرية.
- (27) - مخطوط بحوزتنا.
- (28) - توت: هنا كلمة ولفية بمعنى القليل.
- (29) - توتي اسم علم على سيدة كانت أجيرة عند الشاعر.
- (30) - هو الأديب الشاعر محمد قال بن عبد اللطيف إداري معاصر وكاتب اجتماعي متميز له ديوان شعري طريف بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل والمقالات الاجتماعية منها رسالة الكوس، والفيش بين كسكس والعيش، وفتاوى الشياطين.
- (31) - مخطوط بحوزتنا.
- (32) - هذا الشطر من عجز بيت لامرئ القيس وهو:
أو المكرعات من نخيل ابن يامن دوين الصفا اللائي يلين المشقرا.
- (33) - مخطوط بحوزتنا.
- (34) - مخطوط بحوزتنا.
- (35) - تكوس كلمة حسانية تطلق على العاطلين عن العمل.
- (36) - «مباس» كلمة أصلها فرنسي بمعنى مشفوع له، «يباس» أصلها فرنسي والمعنى في الحسانية «يشفع له».
- (37) - باس: فرنسية أصلها (pousser) والمقصود هنا الإعانة والشفاعة.
- (38) - مخطوط بحوزتنا.

- (39) - هو العالم الأديب محمد محمود بني فتى الشفري عالم جليل.
- (40) - مخطوط بحوزتنا.
- (41) - مخطوط بحوزتنا.
- (42) - «مرش أنوار» كلمة فرنسية هي (Marché noire) ونعني السوق السوداء.
- (43) - في هذا البيت جناس نام بين الصابون الأولى التي هي الصابون وقد خففت والصابون لغة من خرج من دينه إلى دين آخر أما الصابون الثانية فهي المادة المنظفة المعروفة. وهي فرنسية الأصل (savon).
- (44) - مخطوط بحوزتنا.
- (45) - كراي بين أحمد يوره عالم جليل وشاعر مجيد له ديوان شعري معظمه في المديح النبوي والدفاع عن السنة له مجموعات من الأنظام الفقيهية، وأنظام كذلك في السيرة والتاريخ الإسلامي.
- (46) - مخطوط بحوزتنا.
- (47) - مضم كلمة فرنسية (Madame) بمعنى السيدة.
- (48) - هو شاعر أبو بكر بن محمد الفاضلي له ديوان شعري محقق عرف بنزعتة الهزلية.
- (49) - مخطوط بحوزتنا.
- (50) - مخطوط بحوزتنا.
- (51) - بروها: عبارة عن كلمة بروه الفرنسية (bureau) المكتب مضافة إلى هاء المد والإشباع.
- (52) - بوها: عبارة كلمة بوه الفرنسية (bon) التي تعني وصل لاستلام شيء وقد اشبعت بهاء.
- (53) - مخطوط بحوزتنا.
- (54) - هذا الشطر من شعر امرئ القيس.
- (55) - مخطوط بحوزتنا.
- (56) - نونو: كلمة فرنسية بمعنى لا لا أي non non.
- (57) - محمد بن المحبوب، أدب الرحلة في بلاد شنقيط، دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس 1995، ص 102.
- (58) - هو الشاعر المجيد محمد بن أحمد بن العاقل الایهمي له ديوان شعري لم يحقق بعد.
- (59) - مخطوط بحوزتنا.
- (60) - هو الإمام ناصر الدين قائد الطرق الزاوي في الحرب التي دارت بين بني حسان وبين الزوايا (ت 1085هـ).
- (61) - هذا الشطر الأخير معناه حبة مطحونة وأخرى غير مطحونة أما كلمة مفنطرة في الصدر فتعني أن الشيء لم يكتمل نضجه. وهو تواضع من الشاعر.

- (62) - هو محمد بن أحمد يوره الأبهمي (1258هـ - 1340هـ) شاعر مجيد راد المدرسة الشعبية في بلاده وعالم جليل له مؤلفات منها نظم في الأصول وشرح للواقعة وغير ذلك.
- (63) - مخطوط بحورتنا.
- (64) - هذا الشطر كاملا «ليس لها أن تخط شيئا لا ينبغي أن يخط بشيء آخر فهو تحذير من اختلاط الأوراق.
- (65) - مخطوط بحورتنا.
- (66) - مخطوط بحورتنا.
- (67) - مخطوط بحورتنا.
- (68) - مخطوط بحورتنا.
- (69) - مخطوط بحورتنا.
- (70) - مخطوط بحورتنا.
- (71) - مخطوط بحورتنا.
- (72) - مخطوط بحورتنا.
- (73) - مخطوط بحورتنا.
- (74) - هو الشيخ أحمدو بن حنبل الحسن (ت 1302هـ) عالم جليل وشاعر له ديوان شعري وتفسير للقرآن.
- (75) - مخطوط بحورتنا.